والآن أوان الشروع في المقصود.

قال اللّه تعالى: ﴿اللّه لا إله إلّا هو﴾

ضبط مسائل هذه الكلمة المباركة يستدعي تمهيد مباحث:

البحث الأوّل
في بيان أنّ لفظ ﴿اللّه﴾ اسم لذاته المقدّسة

وهو يشتمل على فوائد:

أ ـ اللّه علم للذات الواجب الوجود المتّصفه بجميع صفات الكمال، واشتهر اتّصافه بالكمالات في ضمن هذا الاسم، كلفظ الحاتم المفيد لاتّصاف مدلوله بالجود؛ وهو أشهر أسمائه تعالى وأكثرها دوراناً في لسان الذاكرين، وخصّ في التنزيل الأمر بكثرة الذكر به دون باقي أسمائه حيث قال: ﴿واذكروا اللّه كثيرا﴾ (الأنفال(٨): ٤٥) ولم يقل: فاذكروا الرحمن، وجعل أمام سائر الأسماء وخصّت به كلمة التوحيد ووقعت به الشهادة.

وقد امتاز عن سائر الأسماء بخواصّ:

أ ـ أنّه علم للذات المقدّسة ولا يطلق على غيره لا حقيقةً ولا مجازاً. قال اللّه تعالى: ﴿هل تعلم له سميّا﴾ (مريم(١٩): ٦٥) أي هل تعلم أحداً يسمّى اللّه غيره.[1] وقيل: «إنّه اسم لمفهوم الواجب لذاته أو المستحقّ للعبوديّة، وكلّ منهما كلّي منحصر في فرد فلا يكون علماً؛ لأنّ مفهوم العلم جزئي. وفيه نظر؛ لأنّا لا نسلّم أنّه اسم لهذا المفهوم الكلّي كيف؟ وقد اجمعوا على أنّ قولنا لا إله إلّا اللّه كلمة توحيد؛ ولو كان اسماً لمفهوم كلّي، لما أفادت التوحيد».[2]

ب ـ أنّه دالّ على الذّات وباقي الأسماء لا تدلّ إلّا على آحاد المعنى كالقادر على القدرة والعالم على العلم، إلى غير ذلك.

ج ـ الأسماء تنتمي بهذا الاسم، ولا ينتمي هو لها. فيقال: الصبور اسم من أسماء اللّه، ولا يقال اللّه اسم من أسماء الصبور أو الرحيم أو الشكور.

ولهذه المعاني قيل: إنّه الاسم الأعظم.

---

١. مغني المحتاج، ج١، ص٣

٢. مختصر المعاني، ص٥٠-٤٩

وعن النبيّ ﷺ : «بسم اللّه الرحمن الرحيم، أقرب إلى الاسم الأعظم من سواد العين إلى بياضها» .[1]

وقيل في تفسير قوله تعالى في قصّة بلقيس ﴿قال الذي عنده علم من الكتاب﴾ أنّ المراد به آصف وزير سليمان عليه السلام، كان صدّيقاً عارفاً بالاسم الأعظم، وذلك الاسم هو اللّه .

وروي أنّه في آية الكرسي وآل عمران؛ فقيل : يكون ﴿الحيّ القيّوم﴾ ؛ لأنّه بينهما والموجود فيهما . ويؤيّد ما ورد أنّه في قولنا «يا حيّ يا قيّوم» .

وقيل في : «يا ذا الجلال والإكرام» .

وعن النبيّ ﷺ : أ نّه سمع رجلاً يقول : يا ذا الجلال والإكرام، فقال : سَلْ تُعطَ .

وقيل : هو في قولنا : «يا هو، يا من لا هو إلّا هو» .

وعن عليّ ـ رضى الله عنه ـ قال : «رأيت الخضر في المنام قبل بدر بليلة، فقلت : علّمني شيئاً أنصر به على الأعداء» فقال : قل : يا هو يا من لا هو إلّا هو . فلمّا أصبحت قصصتها على رسول اللّه ﷺ فقال : يا عليّ! عُلّمت الاسم الأعظم؛ فكان على لساني يوم بدر، و كان عليه السلام يقول ذلك يوم صفّين وهو يطارد .[2]

٢ ـ الاسم هل هو عين المسمّى أو غيره .

قال بعض الأشاعرة : إنّه عين المسمّى . و إليه ذهب أبوالحسن الأشعري في تفسيره .

واستدلّوا عليه بقوله تعالى : ﴿ما تعبدون من دونه إلّا أسماء سمّيتموها﴾ (يوسف(١٢) : ٤٠)، والمعبود إنّما هو المسمّى وبقوله تعالى : ﴿سبّح اسم ربّك الأعلى﴾ (الأعلى(٨٧) : ١)، وبقوله تعالى : ﴿تبارك اسم ربّك﴾ (الرحمن(٥٥) : ٧٨)؛ فإنّهما يدلّان على أنّ اسم الربّ هو الربّ؛ لأ نّه هو المسبّح والمتبارك .

وقال الآخرون : إنّه غير المسمّى؛ لأنّ عاقلاً لا يشكّ في أنّ لفظ الجدار مغاير لمدلوله، وأنّ الاسم موضوع للمسمّى؛ ولا شكّ أنّ الموضوع غير الموضوع له .

وما ذكروا من الآيات لا يدلّ على مطلوبهم؛ لأنّ غاية ما فيها إطلاق الاسم و إرادة المسمّى، وذلك لا يوجب كون أحدهما عين الآخر، كما في سائر المجازات . وقد يقصد بذلك تعظيم شأن المسمّى كما يقال : السلام على الحضرة العالية، على أنّ الاسم في

١ . عيون أخبار الرضا، ج١، ص٨؛ عدّة الداعى، ص٤٩؛ بحار الأنوار، ج٧٥، ص٣٧١؛ ج٨٩، ص١٥؛ ج٩٠، ص٢٢٤

٢ . عدّة الدّاعى، ص٢٦٣؛ تفسير نور الثقلين، ج٥، ص٧٠٠ (مع تفاوت قليل فى الكلمات

الآيات المذكورة جاز أن يكون بمعناه لا بمعنى المسمّى .

ومعنى قوله ﴿إلّا أسماء سمّيتموها﴾ أنّ معبودكم ليس إلّا مجرّد ألفاظ اخترعتموها و تتلفّظون بها وليس لها مسمّيات مستحقّة للعبادة حتّى يكون القصد من تلك الأسماء إليها ؛ وأسماء اللّه أيضاً متباركة كذاته المقدّسة .

و«مسبّح» أي منزّه عن النقائص والمعاني التي لا تليق به تعالى .

ثمّ ما ذكروه معارض بقوله تعالى : ﴿للّه الأسماء الحسنى﴾ (الأعراف(٧) : ١٨٠) وبقوله ﷺ : «إنّ للّه تسعة وتسعين اسماً»[1] فإنّ كلّ واحد منها يدلّ على تعدّد الاسم والتعدّد في المسمّى محال . قال الإمام الرازي : المشهور عن أصحابنا أنّ الاسم عين المسمّى ، وعن المعتزلة أنّه التسمية . وعن الغزالي أنّه مغاير لها ؛ لأنّ النسبة وطرفيها متغايرة قطعاً .

والناس قد طوّلوا في هذه المسألة وهو عندي فضول ؛ لأنّ الاسم هو اللغة المخصوص والمسمّى وضع ذلك اللفظ بإزائه فيقول الاسم للإمام قد يكون غير المسمّى ، فإنّ لفظ الجدار مغاير لحقيقة الجدار ، وقد يكون عينه ، فإنّ لفظ الاسم اسم للفظ المدلول على المعنى المجرّد و عن الزمان .

ومن جملة تلك الألفاظ لفظ الاسم ، فيكون لفظ الاسم اسماً لنفسه فاتّحد هنا الاسم والمسمّى ، قال : هذا ما عندى في هذه المسألة .

أقول : فيه بحث ؛ لأنّ مسمّى الاسم هو اللفظ الدالّ ...الى آخر ، كما ذكره ولفظ الاسم ليس بعينه بل فرد من جزئيّاته ، والفرد لا يكون عين الكلّي .

٣ـ تسميته تعالى بالأسماء توقيفيّة ، أي يتوقّف إطلاقها على الإذن الشرعي وليس الكلام في أسمائه الأعلام الموضوعة في اللغات ، إنّما النزاع في الأسماء المأخوذة من الصفات له تعالى .

فذهب المعتزلة والكراميّة إلى أنّه إذا دلّ العقل على اتّصافه تعالى بصفة ثبوتيّة أو سلبيّة جاز أن يطلق عليه اسم يدلّ على اتّصافه بها ، سواء ورد بذلك إذن شرعي أو لا . وكذا الحال في الأفعال .

وقال القاضي أبوبكر : «كلّ لفظ دلّ على معنى ثابت للّه تعالى ، جاز إطلاقه عليه بلا توقيف ، إذا لم يكن إطلاقه موهماً لما لايليق بكبريائه .[2]

١ . الصحيح ، ج٣ ، ص١٨٥ ؛ ج٨ ، ص٦٣ ؛ السنن ، ج٢ ، ص١٢٦٩

٢ . حواشى الشروانى على تحفة المنهاج ، ج٩ ، ص٨٥

فمن ثمّ لم يجز أن يطلق عليه لفظ العارف ؛ لأنّ المعرفة قد يراد بها علم يسبقه غفلة . ولا لفظ الفقيه ؛ لأنّ الفقه فهم غرض المتكلّم من كلامه وذلک مشعر بسابقة الجهل . ولا لفظ العاقل ؛ لأنّ العقل علم مانع عن الإقدام على ما لاينبغي مأخوذ من العقال ؛ وإنّما يتصوّر هذا المعنى في مَن يدعوه الداعي إلى ما لاينبغي . ولا لفظ الفَطِن ، لأنّ الفطانة سرعة إدراک ما يراد تعريضه على السامع فيكون مسبوقه بالجهل . ولا لفَظ الطبيب ؛ لأنّ الطبّ يراد به علم مأخوذ من التّجارب إلى غير ذلک من الأسماء التي فيها نوع إيهام بما لايصحّ في حقّه تعالى . وقد يقال : لا بدّ مع نفي ذلک الإيهام أن يكون مشعراً بالتعظيم حتّى يصحّ الإطلاق بلا توقيف .

«وذهب الشيخ أبوالحسن الأشعري ومتابعوه إلى أنّه لا بدّ من التوقيف وهو المختار»[1] ! للاحتياط أي علم من الآية جواز إطلاق الضمائر عليه تعالى لقوله«هو» .

فائدة : الكلام في أنّ لفظ«اللّه»مشتقّ أو جامد .

وعلى تقدير الاشتقاق فمن أيّ أصل أُخذ ؟ البحث لغوي لا يليق بهذا الكتاب ؛ لأنّ المقصود منه ذكر المسائل الكلاميّة التي في الآية الكريمة .

البحث الثاني
في وجوده تعالى

وفيه مسائل :

ـ اختلف في ماهيّة الوجود ؛ فالأكثرون على أنّها بديهيّة التصوّر ، والحكم بذلک أيضاً ضروري . ونبّه عليه بأنّ التصديق البديهي مثل قولنا : الشيء إمّا أن يكون أو لا يكون ، يتوقّف عليه ؛ وما يتوقّف عليه البديهي ، بديهي .

وقال قوم : إنّه نظري ، فعرّفوها بوجوه مزيّفة رأينا تركها أولى .

ـ في أنّ الوجود زائد على الماهيّات أو عينها .

قالت الأشاعرة : الوجود زائد على جميع الماهيّات ؛ واجبة أو ممكنة .

وقال قوم ، منهم الأشعري وأبوالحسين البصري : إنّه عين الماهيّة في الجميع .

---

١ . نفس المصدر